عندما يلجأ «حزب الله» إلى القضاء

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

جيّد أن يستفيق "حزب الله" أخيرا على وجود قضاء لبناني ومؤسسات لدولة لبنانية في محاولته لإسكات صوت واضح وصريح ومتوازن مثل صوت النائب السابق الدكتور فارس سعيد.

لجأ الحزب، الذي لم يطلب يوما ترخيصا من السلطات اللبنانية، نظرا إلى أن لديه دولته الأهمّ من الدويلة اللبنانية، إلى القضاء لسبب في غاية البساطة. يعود هذا السبب إلى أن فارس سعيد ينادي بالسيادة اللبنانية وأنّه عمل طويلا من أجل استعادة هذه السيادة. قد يكون التفسير الأقرب إلى المنطق، لمحاولة النيل من فارس سعيد عبر القضاء، أنّ الرجل يركّز على سلاح "حزب الله" في الوقت الذي ليس من يشكّ بأنّ لديه أيّ نوع من التعصّب الطائفي أو المذهبي في بلد صار مطلوبا فيه أن يكون المواطن لاجئا سياسيا لدى طائفته وألا يتطلع إلى يوم يستعيد لبنان وضعه الطبيعي.

مطلوب بكلّ وضوح أن يكون لبنان رهينة لدى إيران عن طريق سلاح "حزب الله" غير الشرعي الذي صار في استطاعته تقرير من هو رئيس الجمهورية المسيحي.

لا يحتاج فارس سعيد إلى من يدافع عنه. يستطيع الدفاع عن نفسه بفضل المواقف التي اتخذها والتي تصبّ في استعادة لبنان دوره العربي وتكريس العيش المشترك. ليس في لبنان من يستطيع النيل من الرجل، وهو طبيب ابن طبيب، ولا من عائلته التي كانت دائما في خدمة المواطنين العاديين بغض النظر عن دينهم أو ملّتهم.

من هذا المنطلق، يبدو مستغربا ادعاء "حزب الله" على فارس سعيد وعلى موقع حزب "القوات اللبنانية" بحجة أن الجانبين اتّهما الحزب بالوقوف وراء تفجير مرفأ بيروت في الرابع من آب – أغسطس الماضي.

من حسن الحظّ أنّه لا يزال هناك عصب مقاوم في لبنان وهناك من يسمّي الأشياء بأسمائها بدل السقوط في الأفخاخ التي ينصبها «حزب الله» للبنانيين وللبنان

في النهاية، يستطيع أي لبناني أو أي جهة لبنانية توجيه اتهامات إلى "حزب الله" في ضوء ممارساته التي تكشف أنّه الآمر الناهي في الجمهورية اللبنانية وأن لا شيء يمكن أن يحصل من دون رضاه ومباركته. يشمل ذلك الحركات الصبيانية التي يقوم بها بعض الذين يدّعون الانتماء إلى ثورة 17 تشرين والتي تستهدف شخصيات لبنانية موجودة في أماكن عامة، بغض النظر عن مسؤولية هذه الشخصيات في الوصول إلى ما وصل إليه البلد. هل يتجرّأ هؤلاء "الثوار" الذين يخدمون "حزب الله" من حيث يدرون أو لا يدرون على الاقتراب من أي شخص لديه غطاء ما من "حزب الله".

آن أوان حلول النضج السياسي مكان التصرفات التي يمارسها مراهقون أو متعاملون بطريقة أو بأخرى مع "حزب الله". دخل لبنان مرحلة التفتت النهائي في ظلّ سلاح "حزب الله". بكلام أوضح، باتت هناك حاجة إلى طرح الأسئلة الحقيقية. في طليعة هذه الأسئلة لماذا كلّ هذا التضايق من شخص مثل فارس سعيد لم يؤذ نملة في يوم من الأيّام؟ كيف يستطيع حزب يعترف بأن ولاءه لإيران وليس للبنان، الذي لا يعترف به أصلا، ملاحقة مواطن لبناني ذنبه الوحيد مناداته بالسيادة وبخروج لبنان من وضع الرهينة الإيرانية؟

اللافت أن ادعاء "حزب الله" على فارس سعيد وعلى موقع "القوات اللبنانية" جاء في ذكرى مرور أربعة أشهر على تفجير مرفأ بيروت. لم يظهر التحقيق اللبناني شيئا حتّى الآن وذلك بعدما بادر رئيس الجمهورية ميشال عون منذ البداية إلى استبعاد أي تحقيق دولي. يبدو واضحا أن المطلوب تمييع التحقيق ومتابعة الدوران في حلقة مقفلة... والبحث عن كبش محرقة يجري تحميله جريمة في حجم جريمة تفجير مرفأ بيروت.

هذا ما كان مطلوبا منذ البداية لدى اغتيال رفيق الحريري ورفاقه، في مقدّمهم باسل فليحان، في الرابع عشر من شباط – فبراير 2005. لو ترك الأمر في 2005 للسلطات اللبنانية، ولرئيس الجمهورية وقتذاك أميل لحّود، لكان جرى تمييع التحقيق ولكان البحث جاريا، إلى الآن، عن ذلك المجهول المعروف أكثر من اللزوم الذي نفّذ الجريمة. بفضل التحقيق الدولي وبفضل المحكمة الدولية الخاصة بلبنان، أمكن أخيرا تحديد الجهة التي تقف وراء الاغتيال وإدانة سليم عيّاش الذي ينتمي إلى "حزب الله" وليس إلى أي جهة أخرى.

دعا أميل لحّود بُعيد تفجير موكب رفيق الحريري إلى تنظيف مسرح الجريمة سريعا "كي تعود الناس إلى أشغالها" ووصف ما حصل بأنّه "رذالة". من الواضح في سنة 2020 أن هناك من يسعى في عهد ميشال عون للوصول إلى ما لم يكن ممكنا الوصول إليه في عهد أميل لحّود. هذا يعني تجاهل الكارثة التي حصلت وتجاهل مقتل 200 شخص، بين مواطن ومقيم، وجرح الآلاف وتهجير 300 ألف شخص من بيوتهم والقضاء على آلاف فرص العمل في منطقة ذات طابع مسيحي مليئة بالمطاعم والمقاهي والمحلات التجارية.

من حسن الحظّ أنّه لا يزال هناك عصب مقاوم في لبنان وهناك من يسمّي الأشياء بأسمائها بدل السقوط في الأفخاخ التي ينصبها "حزب الله" للبنانيين وللبنان. يحصل ذلك في وقت تمرّ فيه المنطقة كلّها بحال مخاض، فيما لا يوجد من يريد حماية لبنان وإنقاذ ما لا يزال في الإمكان إنقاذه.

لا يزال هدف رئيس الجمهورية إنقاذ المستقبل السياسي لشخص لا مستقبل له. الأولويّة لدى ميشال عون هي لصهره جبران باسيل، الذي فرضت عليه عقوبات أميركية، وليس لتسهيل تشكيل حكومة لا تضمّ سوى اختصاصيين برئاسة سعد الحريري بصفة كونه لا يزال قادرا، وإن بحدود معيّنة، على التعاطي مع المجتمعين العربي والدولي.

ليس معروفا إلى أين يريد "حزب الله" أخذ لبنان، باستثناء أن الطريق "إلى جهنّم"، كما صرّح بذلك رئيس الجمهورية، بات واضح المعالم.

الثابت أنّ الحملة على فارس سعيد لا تبشّر بالخير، ليس لأنّ فارس سعيد يمثل تيّارا معيّنا يدعو في مقدّم ما يدعو إليه إلى استقالة رئيس الجمهورية فحسب، بل لأنّ هذا التيّار، العابر للطوائف، الذي يتبلور أكثر يوما بعد يوم يدرك ماذا على المحكّ في لبنان هذه الأيّام. ما على المحكّ السقوط النهائي لبلد كان يستطيع أن يكون قصّة نجاح، بدل أن يكون قصّة فشل مريع، لولا استباحته بالطريقة التي استبيح بها خدمة لمشروع ميليشيوي ومذهبي في الوقت ذاته لا أفق له باستثناء نشر الفقر والبؤس والخراب والتخلّف. ليس الادّعاء قضائيًا على فارس سعيد سوى تعبير من تعابير هذا المشروع!

فرنسا والشرق الأوسط من ديستان إلى ماكرون

د. خطار أبودياب
أستاذ العلوم السياسية، المركز الدولي للجيوبوليتيك-باريس

تغيرت فرنسا والشرق الأوسط والعالم في ما بين حقبة الرئيس الفرنسي الأسبق الراحل فاليري جيسكار ديستان (1974–1981) وحقبة الرئيس إيمانويل ماكرون التي بدأت في 2017. خلال هذا الفاصل الزمني استمر اهتمام باريس بالشرق الأوسط الذي يمثل محورا أساسيا لسياستها الخارجية خاصة وأن التحولات الجذرية التي بدأت في سبعينات القرن الماضي لا تزال تتردد أصداؤها وانعكاساتها في بدايات العقد الثالث من هذا القرن، إن على صعيد الصراع العربي – الإسرائيلي أو اندلاع حروب لبنان واستقرار الخليج وحروب العراق وسوق النفط و"الثورة الإيرانية" ونزاع الصحراء والصلات مع الجزائر وليبيا.. لكن من حقبة ديستان إلى حقبة ماكرون لم تتمكن فرنسا من الحفاظ على مواقع نفوذها وكان هناك الكثير من النكسات، وبقي العامل المشترك الأهم وهو أولوية العامل الاقتصادي وبعد ذلك التركيز على إيران.

تجمع الكثير من الصفات والمسارات بين الرئيسين ديستان وماكرون؛ فقد كان الأول في عمر 48 عاما، أصغر رئيس للجمهورية الخامسة في فرنسا، ولكن الثاني وصل إلى سدة الحكم وعمره أربعون عاما وأصبح الرئيس الأكثر شبابا. كما يجمع بين الرئيسين أنهما نتاج النخبة الفرنسية. فقد تخرجا من "المعهد العالي للإدارة" وانتميا عمليا إلى نفس توجهات الوسط الليبرالي والتمسك بالخيار الأوروبي للحفاظ على موقع فرنسا العالمي.

وبينما عمل ديستان من أجل تحديث فرنسا ومنح أدوار أكبر للشباب والمرأة للخروج من الخط المحافظ، يعمل ماكرون بعناء على تميز فرنسي في سياق العولمة. وكما شكلت الصدمات الاقتصادية خاصة "صدمتي سوق النفط" معبقا لنهج ديستان، وكانت لذلك صلة بتوترات الشرق الأوسط، تعاني فرنسا حاليا ليس فقط من تداعيات جائحة كورونا بل أيضا من كسوف دورها والدور الأوروبي في الشرق الأوسط والبحر الأبيض المتوسط.

كان ديستان سباقا وترك بصماته على السياسة الدولية. منذ وصوله إلى الإليزيه في 1974، تنبه الرئيس الجديد للعولمة التي كانت بصدد التبلور، واختار دبلوماسية متعددة الأقطاب.

وأعلن في العام 1975 أنه "ستكون سياسة فرنسا الخارجية سياسة عالمية وتوافقية. لهذا السبب يمكننا أن نقول: إني صديق الجميع، إني صديق السوفييت، إني صديق الأميركيين...". انطلاقا من ذلك، بدأ ديستان سياسة الانفتاح في أفريقيا حيث كان أول رئيس فرنسي يزور الجزائر المستقلة في 1975. ولكن ابتداء من العام التالي، اشتبكت باريس والجزائر حول مسألة الصحراء المغربية. ونفس المسار تقريبا ينطبق على ماكرون الذي زار الجزائر في بداية حملته الانتخابية ووعد بتنقية الذاكرة والاعتذار عن أخطاء الاستعمار، لكن عدم وجود إجماع فرنسي واضطراب الوضع في الجزائر، أديا إلى مراوحة في المكان سببت عودة التوتر أخيرا إلى نزاع الصحراء في إحراج باريس.

أما في باقي بلدان المغرب العربي فقد كانت علاقات ديستان مع العاهل المغربي الملك الراحل الحسن الثاني ورئيس تونس الحبيب بورقيبة من دون غيوم، على العكس تماما مع العقيد معمر القذافي بسبب نزاع تشاد في المقام الأول ولدور ليبيا في أفريقيا. أما مع ماكرون فنجد تقريبا الصورة نفسها خاصة أن الرئيس الفرنسي الحالي ورث تدخلا فرنسيا لم يكلل بالنجاح، ومع تحول ليبيا إلى مسرح لعبة إقليمية – دولية معقدة تجهد باريس من دون نجاح لبلورة توافق أوروبي مؤثر.

في المشرق، يبدو التباعد أكبر بين موقفي ديستان وماكرون من المسألة الفلسطينية إذ كانت باريس خلال عهد الأول قد قادت المجموعة الأوروبية (سلف الاتحاد الأوروبي الحالي) للاعتراف بالحق الفلسطيني وبالصفة التمثيلية لمنظمة التحرير الفلسطينية خلال قمة البندقية في يونيو 1980، وكان ذلك مقدمة للاعتراف العالمي والأميركي لاحقا. بينما تميزت مرحلة ماكرون بتراجع للدور الفرنسي أمام زخم الدور الأميركي خلال عهد دونالد ترامب.

ولا بد من الإشارة إلى أن التطور الإيجابي النسبي للموقف الفرنسي والأوروبي إزاء الفلسطينيين لم يكن ليحصل لولا آثار حرب 1973 ومبادرة "قطع البترول" وما أعقبها من افتتاح حوار عربي – أوروبي. ومنذ تلك الحقبة ازداد الاهتمام الفرنسي بالعراق والدول العربية في الخليج، علما أن مؤسس الجمهورية الخامسة شارل ديغول قد أرسى أسس "السياسة العربية لفرنسا" من أجل تجاوز آثار حرب الجزائر والتدخل في حرب السويس. ولذا يندرج الانفتاح على المملكة العربية السعودية ومصر والإمارات العربية المتحدة في هذا السياق (زار ديستان الرياض في يناير 1977 وزار المغفور له الملك خالد بن عبدالعزيز باريس في 1981، وكانت علاقة الرئيسين ديستان وأنور السادات ممتازة، وزار المغفور له الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان باريس في 1975 بينما قام ديستان بزيارة أبوظبي في مارس 1980).

من حقبة ديستان إلى حقبة ماكرون لم تتمكن فرنسا من الحفاظ على مواقع نفوذها وكان هناك الكثير من النكسات وبقي العامل المشترك الأهم أولوية العامل الاقتصادي وبعد ذلك التركيز على إيران

بيد أن التركيز كان على العراق الذي اعتبرته فرنسا بوابة مهمة لتركيز نفوذ لها في الشرق الأوسط وكان هناك منذ حقبة ديستان تعاون سياسي وعسكري وعلمي، وكان رئيس وزراء ديستان الراحل جاك شيراك من صانعي هذا التقارب. واليوم مع ماكرون بعد كل تعرجات التاريخ يعود السعي الفرنسي إلى ترتيب العلاقة مع العراق وإحياء دوره الإقليمي.

لكن بعيدا عن العراق والمشرق كان التحول العالمي الكبير يبدأ مع الغزو السوفييتي لأفغانستان وحينها لم يكلف ديستان نفسه عناء استنكار ذلك كما فعل غيره من الحلفاء الغربيين. افتتح ذلك مرحلة إعلاء الدور الديني في السياسة والتركيز على صراعات العالم الإسلامي. وأعقب ذلك "الثورة الإسلامية الإيرانية" التي قادها آية الله الخميني من مقره الفرنسي وتمت استضافته في عهد ديستان وقامت القوى الغربية بتغطية إسقاط الشاه. وهنا يكمن الدور الملتبس لفرنسا في عهد ديستان وهي تبرره لضرورات التحالف واحترام حرية الشعوب الإيرانية. لكن من يعلم جيدا مدى النفوذ التاريخي للبريطانيين والأميركيين في هذا البلد، يمكن أن نفترض وجود طموح عند بعض الدوائر الفرنسية في الرهان على بناء علاقة مع بلد استراتيجي واقتصاد واعد. ونفس هذا الطموح يحاكيه ماكرون في حقبتنا هذه علما أن إيران التي طورت علاقاتها مع المعسكر الشرقي تبقى مهتمة أكثر بعلاقاتها مع ألمانيا وبريطانيا وإيطاليا وعلى ما يبدو أن النظام الإيراني لم ينس دعم فرنسا للعراق في الحرب مع إيران.

هذه الحسابات التاريخية تحضر في شرق المتوسط خاصة في سوريا ولبنان. ويشار إلى أن انفجار "حروب لبنان النقالة" بدأ في عهد ديستان، ويومها في عام 1975، حاولت باريس التدخل، لكنها تحت الضغط الأميركي عادت وسلمت بالتدخل السوري تحت عنوان "حماية المسيحيين". إلا أن صلات باريس بمنظمة التحرير الفلسطينية والعراق أغضبت النظام السوري في حقبة ديستان وزادت من التوتر حول لبنان وفي ملفات أخرى.

وحاليا في حقبة ماكرون تسعى باريس إلى إنقاذ مبادرتها تحت عنوان "منع زوال لبنان في الذكرى المئوية الأولى لتأسيس كيانه". لكن كما كانت متاعب ديستان مع إسرائيل (حصل أول تمركز للقوات الفرنسية ضمن قوات حفظ السلام الدولية في 1975 بعد أول اجتياح إسرائيلي للبنان في 1978 ردا على العمليات الفلسطينية) ومع سوريا، يجد ماكرون نفسه مقيدا بعدم تسهيل مهمته من قبل إيران وحزب الله بالرغم من إصراره على الحوار معهما.

تبدو الملفات متشابكة والتاريخ لا يمكن أن يعيد نفسه على نفس المنوال، لكن الشرق الأوسط كما أفريقيا وحوض البحر الأبيض المتوسط يبقى في صدارة الاهتمامات الاستراتيجية والاقتصادية الفرنسية بالرغم من اختلاف الأساليب بين رئيس وآخر. يبقى الحصاد محدودا نظرا إلى قلة الإمكانات، ويتطلب نجاح السياسة الفرنسية المزيد من الوضوح والتماسك، وتغييرا في سياسات مرّ عليها الزمن وفشلت.

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk